

تاريخ الفن الاسلامي

المرحلة الثالثة

قسم الفنون التشكيلية

من اجل تكوين تصور شامل عن الفنون الاسلامية لا بد من تعرف طابع الفنون قبل الاسلام ولو بقرون عديدة ، لذلك فإننا سنتطرق الى الفنون في الجزيرة العربية وسنأخذ منها (الحجاز) ، والعراق ، وسنأخذ منه فنون الحضرة وفنون الحيرة ، فضلاً عن بلاد الشام ، وسنأخذ منه فنون الانباط وفنون تدمر ..

أولاً. الفنون في الحجاز :

يدعي المستشرقين عدم وجود أية معرفة للفنون لدى العرب قبل الاسلام ببعض القرون ، وقد أثبتت الحفريات بطلان هذا الادعاء ، كما أن للجزيرة العربية موانئ وتواصل مع العالم الأمر الذي يجعل وجود مظاهر للتمدن فيها أمراً ممكناً ، إذ أن تلك المظاهر قد تؤشر وجود عمارة وفنون أخرى ملحقة بها أو مكملتها على أقل تقدير .

إن الكعبة كمكان مقدس عند العرب قبل الاسلام وبعده ، هي كبناء معماري أعيد بناءه لأكثر من مرة بشكل جزئي أو كلي ، ويشير (الأزرقى) أن الكعبة كانت جدرانها مزينة بصور للأشجار وصور للأنبياء ومنهم النبي ابراهيم عليه السلام بهيأة شيخ يستقسم بالأزلام ، والنبي عيسى بن مريم عليه السلام وأمه ، فضلاً عن صور للملائكة ، ويوم دخول المسلمين مكة عندما فتحوها أرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم الفضل بن عبد المطلب وأمره بإزالة جميع الصور إلا صورة واحدة وضع يده عليها وهي صورة النبي عيسى بن مريم عليه السلام وأمه ، فقال للفضل : (إلا هذه ما تحت يدي) ، وهذا دليل على وجود فنون للعرب قبل الاسلام .

كان العرب يعبدون الأصنام والأوثان ولهم أكثر من (360) إله يعبدونه ، وبأسماء مختلفة يضعون في داخل الكعبة كل سنة تماثيل للآلهة التي يعبدونها أي كل قبيلة تضع كل سنة تماثيل للآله الذي تعبده ، يعد أداء الحج ليكون شاهداً على أنها أدت الحج ، وقد كانوا يستوردونها من الخارج ، ثم أصبح هناك متخصصون بصنع هذه التماثيل من أجل التكسب ، وأصبحت الصناعة لها محلته ، فعندما تصنع من الاحجار تسمى (الأوثان) ، وعندما تصنع من مادة ذات قيمة من غير الحجر كالذهب والفضة والخشب تسمى (أصنام) ، يضاف الى ذلك أن هناك من أورد بأن للعرب مصورات كانت مرسومة على

الخيام والسيوف والأقداح ربما كجانب جمالية تزين كل هذه الأشياء التي يستعملونها في حياتهم .

ومما يؤكد صحة هذا التوجه ويدحض زيف ادعاء المستشرقين هو اكتشافات أو بعثة تنقيب اثارية سنة 1952 في قرية الفاو جنوب غرب مدينة الرياض بمسافة 680 كم ، ثم اكتشافات البعثة الثانية سنة 1971 ، إذ كشفت عن وجود ثرية هي (الفاو) على عمق (2-4) متر مجتمعا متمدن وغير بدوي ..

* العمارة :

- بنيت المنازل على وفق نسق متجانس ومن الآجر واللبن .
- جدران المنازل طليت بالجبص الناصع البياض من الداخل والخارج .
- وجود شبكة من الشوارع المستقيمة في القرية .
- تبنى الوحدات السكنية بشكل قطاعات طويلة .
- أغلب المساكن تبنى بطابقين يكون الأعلى للنوم والأرضي للمعيشة والنشاطات الأخرى ، كما وجد أنها احتوت على المواقد والرحى والمطابخ .

* الفنون :

- وجدت رسوم ملونة على جدران بعض المنازل ، وتمثل هذه الرسوم مشاهد للصيد والرماية والقتال ، وكانت بمثابة لوحات جدارية ملونة .
- تماثيل صغيرة ذات طبيعة متأثرة بما كانت عليها التماثيل آنذاك في المغارات الأخرى وهي تماثيل حجرية أ معدنية .
- أعمال نحتية من المرمر فيها تأثير الحضارات آنذاك ذات مضامين دينية واسطورية .
- عثر على أدوات فخارية :
- أ. بعضها أطباق وقوارير .
- ب. أخرى ذات أشكال مختلفة ومزججة كالأواني والكؤوس .
- أدوات مصنوعة من النحاس والبرونز والحديد .
- أواني مصنوعة من الفضة والذهب مختلفة الأحجام .
- أقراط وحلي للنساء وأدوات زينة كالمراود والدبابيس .
- بعض المسكوكات التي عثر عليها يعود تاريخها الى القرن الرابع الميلادي .

ثانياً. الفنون في الحضر - العراق :

تبعد مدينة الحضر (115كم) جنوب غرب مدينة الموصل فتقع على التُّرثار ، وهي مدينة مدورة قطرها بحدود (2كم) يحيط بها خندق عميق ، فضلاً عن سور فيه (163) برج للدفاع عنها وقلاع ، والسور عبارة عن جدارين كل منهما بعرض (3م) والمسافة التي تفصل بينهما (12م) وتسمى باللغات القديمة (عربايا) .

* العمارة :

- استعملت الحجارة المهندمة كمادة بناء يربط بينها الجص .
- وجود أيوان في جميع الأبنية والقصور والدور وهو أحد أوجه الضخامة والوجاهة وأشبه بـ(البهو) .
- يتم تغطية السقوف لحمايتها من الحرارة ومياه الأمطار .
- زينت واجهات الأواوين بتكوينات هي عبارة عن تماثيل منحوتة على الأقواس وبشكل زخرفي .

- التماثيل تمثل :

أ. أشكالاً اسطورية .

ب. أشكالاً هندسية ونباتية .

ج . رأس التنين ورأس الرمح والحبل المبروم .

* المعابد :

- يعد المعبد الكبير في الحضر أشهر المعابد لعبادة الشمس .
- الاله (مرن) هو إله الشمس ويمثله رجل مسن حول رأسه هالة مشعة وفوق جبينه طوق ذو قرنين .
- امرأته يمثلها تمثال لامرأة فوق رأسها هلال يرمز للقمر .
- ابنه (برمرين) ويمثله تمثال يجمع بين صفات الاثنين .

* النحت :

عثر على منحوتات كثيرة جداً لهذه الفترة في المعابد وكما يأتي :

- تماثيل لحكام ورجال دين وقادة الجيش .
- استخدمت في صناعة التماثيل مواد مختلفة كالحجر والنحاس .
- تماثيل الأشخاص غالباً تتحت بالحجم الطبيعي أو أكبر بقليل .

- التماثيل واقفة تحيي الالهة .
- يستدل على المكانة الاجتماعية لصاحب التمثال من ملابسه فضلاً عن وظيفته في الدولة (الفارس يحمل السيف) مثلاً .
- الاله يكون تمثاله حافي القدمين يحمل بيده اليسرى إناء للبخور .
- أهم ميزة في البحت المجسم الحضري هو أنها أشبه بالنحت البارز ولا يهتم النحات بظهر التمثال لأنه يلصقه بالجدران .
- من المنحوتات المهمة هو طائر النسور لأنه يمثل الاله (مرن) .
- تتحت النسور بشكل بارز أو مجسم تزين صدورها القلائد .
- وضعت تماثيل النسور في بوابات المدينة .
- رايات الحضرة نحتت أو رسمت على جدران المعابد كونها ترمز الى الصمود .
- النحت الحضري يمكن تصنيفه في ثلاثة أدوار .
- أ. دور نشوء الحضرة .
- ب. دور السادة .
- ت. الدور الملكي .

* خصائص النحت الحضري :

- وضع المختصون الخصائص الآتية للنحت الحضري :
- أسلوب النحت رمانية ويونانية قديمة .
 - عدم مراعاة النسب وضعف إظهار البعد الثالث .
 - المبالغة في استخدام الحلي وزركشة الملابس .
 - لم يعتني النحات بظهر التمثال كونه سيلصقه بالجدار .
 - النحت البارز يمثل مشاهد دينية بينما التماثيل المجسمة يظهر عليها النبل والكبرياء مع رفع اليد اليمنى تحية للآلهة .

* الرسم :

- وتتميز الرسم الحضري بالنقاط الآتية استناداً الى ما عثر عليه في رسوم منفذة على جدران المعابد :
- نفذت بشكل بدائي يغلب عليه الطابع الهندسي ورسوم أخرى اهتم الفنان بمراعاة النسب .

- رسم الأشخاص أما شخص واحد أو عدة أشخاص وبوضع الاضطجاع يستند كل منهم على يده اليسرى الى وسادة .
- نفذت على جدران المعابد صور للآلهة ترتدي ملابس طويلة ذات طيات وفوق رأسها تاج .
- رسمت مشاهد الصيد وهي عبارة عن صيادين يحملون عدة الصيد .
- صورت مختلف الحيوانات كالأسد والغزال والخنزير والقلق ، فضلاً عن الحيوان الرئيسي وهو طائر النسر .
- رسمت زخارف بنائية ومعمارية وأشكال لدائرة البروج (الأبراج) .
- رسمت الرايات الحضرية .

ثالثاً . الفنون في الحيرة :

تقع الحيرة في الجانب الأيمن لنهر الفرات الى الجنوب من مدينة الكوفة ، وهي أقدم مدينة عربية في العراق ونشأت مملكة الحيرة في القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي ، حيث سقطت على يد المسلمين سنة 632م .

* العمارة :

- يعد كل من قصر الخورنق وقصر السدير من أهم المعالم المعمارية في مملكة الحيرة وأكثرها شهرة ، أما أهم الجوانب المتعلقة بفن العمارة هي :
- أتبع في بناء القصور طرازاً خاصاً سمي بـ(الطراز الحيري) .
 - استخدم اللبن والآجر والقرميد والمرمر في البناء .
 - تم تغطية السقوف بالفسيفساء والذهب .
 - زخرفت الجدران برسوم محفورة .
 - عثر على كنيستين بنيتا باللبن وكسيت جدرانها بالجص ، فضلاً عن فرش أرضياتها بالآجر .
 - زخرفت جدرانها بزخرفات احتوت على أشكال هندسية ونباتية وطيور ، ويعود تاريخها الى القرنين الخامس والسادس الميلادي .
 - وفي سنة 1930 عثر على فخاريات بعضها ملونة وأخرى غير ملونة ذات لون أزرق .

رابعاً . الفنون عند الانباط :

أول دولة عربية قامت في بلا الشام سكانها من عرب البادية شرق الأردن وعاصمتهم مدينة البتراء .

* العمارة :

- هناك معابد كثيرة محفورة في الجبال بمدينة البتراء في الأردن تشبه المعابد الوثنية .
- حفرت بدقة كبيرة وتؤشر معرفة عالية بالنحت وفنون الحفر .
- أبنية ضخمة جداً كل واحدة منها يتكون من باحة فيها قاعتان كبيرتان أو قاعة واحدة يوضع فيها تمثال الإله .
- هناك بقايا آثار مسرح منحوت في الصخر يتسع لحوالي (4000) شخص .
- هناك في مدينة الحجر (مدائن صالح) مقابر محفورة في صخور رملية ملساء ذات لون يميل الى الأحمر .
- في جوانب هذه المقابر فتحات عميقة لدفن الموتى وأخرى أقل عمقاً استعملت لوضع مستلزماته .
- واجهة هذه المقابر زخرفت بزخارف هندسية .
- توارث الانباط فنون بابل وأشور .
- أحد ملوك بابل أقام في مدينة تيماء قصرأ شبيه بقصره في بابل وزينه بسور يشبه سور بابل في كل شيء تقريباً .

* النحت :

- عثر في مدينة البتراء ومدينة الحجر على مجموع من المنحوتات البارزة والمجسمة ذات طابع روماني ومنها رأس فتاة من البرونز .
- هناك لوحة من البازلت نحت عليها الإله (ذو الشرى) نحت بارز وهو اله الانباط وعلى يمينه كاهن صغير .
- هناك مسلات عثر عليها في حوران ذات نقوش كتابية تشير الى دكات النذور وأواني حرق البخور ، وبعض هذه المسلات نحت عليها أشكالاً آدمية نحتاً بارزاً .
- عثر على منحوتات يغلب عليها الطابع التجريدي حتى في رسم رؤوس الآلهة وأجسامها .

- عثر على نجت بارز بالحجم الطبيعي لإحدى الآلهة تحيط بها أوراق العنب وأوراق شجر الاكانتس والزهور ويعتقد أنها تمثل آلهة المزروعات .
- عثر على لوحة لآلهة المزروعات مع الدولفين في ساحة داخلية لإحدى المعابد ، وقد عبد الانباط الدولفين أيضاً واعتبروه حاميهم في أسفارهم البرية والبحرية .
- المنحوتات جميعها للآلهة التي يعبدونها ومنها الآلهة التي كانت تعبد قبل الإسلام .

* الرسم :

- اتبع الرسام الأسلوب التجريدي في الرسم ، وكذلك في النحت .
- موضوعات الرسوم تمثل مختلف النشاطات الحياتية وعلى وجع الخصوص النشاطات الدينية .
- عثر في صحراء النقب على رسوم في الصخر تمثل أشكالاً حيوانية و آدمية رسمت بحجوم صغيرة ذات طابع رمزي .
- إظهار الإنسان أو الحيوان بحركات مفهومة رغم رسمها بطابع تجريدي أو تجريدي رمزي ، وذلك في إعطاء بعض الصفات الجسمية بشكل صريح .

خامساً . الفنون في تدمر :

تقع تدمر في منتصف المنطقة تقريباً بين المدن السورية من جهة وسوريا ووادي الرافدين من جهة أخرى ، وهي إحدى الممالك التي قامت مستقلة بين الدولة الرومانية والدولة الفرثية .

* العمارة :

- تأثرت العمارة بالطرز المعمارية الرومانية واليونانية القديمة .
- بقيت كرز العمارة في تدمر محافظة على تقاليدھا الشرقية باستخدام الزخارف في البناء المعماري .
- اهتم التدمريون بتخطيط المدن بشكل كبير .
- تمثل العماائر الدينية مكانة مهم ومميز اذ تم بنائها بشكل في غاية الاتقان واستخدمت فيها مختلف الفنون من نقوش ونحت بارز وصور وتمائيل للآلهة التي تعبد .

* النحت :

وهو علا ثلاث أنواع نحت مدني ونحت ديني ونحت جنائزي :

1. النحت المدني :

وتوضع منحوتاته في شوارع المدين والمعابد ومبانيها وهي تماثيل مختلف الحجم على وجوهها الوقار .

- يرتدي التمثال عباءة في وضعية الوقوف ويرتدي صندلاً .

- من غطاء الرأس يعرف الإنسان الذي يمثله التمثال :

• الكهنة يرتدي كل منهم تمثاله قلنسوة اسطوانية خالية من النقوش أو مزينة بإكليل من النبات .

• والمدنيون يكون كل منهم تمثاله حاسر الرأس أو يتوج بعضهم بإكليل الغار .

2. النحت الديني :

- تمثل مجموعة من الآلهة منفردة أو مجتمعة نحتاً بارزاً .

- النحت البارز أقرب الى التجسيم كونه يلصق على جدران المعبد وتحاط بإطارات مزخرفة .

- هناك تماثيل لأشخاص يحرقون البخور .

- ظهور تماثيل ثلاث في عمل واحد بصورة لثلاث آلهة يمثل أمراً عظيماً .

3. النحت الجنائزي :

هي منحوتات وجدت في المدافن :

- هي تماثيل نصفية محفورة حفراً بارزاً عميقاً تثبت على واجهات القبور .

- هناك عبارة عن ألواح مستطيلة توضع على واجهات التوابيت .

- تماثيل النساء يتم تلوينها .

- ينحت الأطفال بملامح الكبار ويحملون أغصاناً من العنب .

المعايير التي يقوم عليها الفن الإسلامي :

يقوم الفن الإسلامي على أربعة معايير أساسية وهي كراعيته تصوير الكائنات الحية ، والانصراف عن التجسيم والبروز ، الفرع من الفراغ ، والتنوع والوحدة ، وفيما يأتي شرح مبسط لكل من هذه المعايير :

أولاً. كراهيته تصوير الكائنات الحية :

يعد هذا المبدأ من أهم المبادئ التي عدت معياراً للفن الإسلامي إذ عمد الفنان المسلم الى تجنب رسم الكائنات الحية في أعماله الفنية ، وهذا ناشيء من نبذه لكل ما يتعلق بعبادة الأصنام والأوثان ، الأمر الذي جعلنا لا نجد أن الفنان المسلم عمد الى رسم أو نحت الأشكال الآدمية أو الحيوانية ، بل عمد الى التحوير والتجريد الى رسم أو نحت على نحو متكرر يؤشر لانهائية الكون العظيم الذي خلقه الله ، وبعد استقرار الدين الإسلامي في النفوس ظهرت هذه الأشكال التي كان الفنان المسلم يجتنبها ، وكانت غير صريحة وإنما محورة أحياناً ومجردة أحياناً أخرى وعلى نحو زخرفي .

ثانياً. الانصراف عن التجسيم والبروز :

إن انصراف الفنون الإسلامية عن ظاهرة التجسيم والبروز مثلما هو معروف في الفنون الأخرى يؤشره ابتعادهم عن إظهار البعد الثالث في العمل الفني وهو (العمق) الذي يظهر في الأعمال الفنية الغربية وخاصة التصوير وبأساليب مختلفة كتصغير احجام الأشكال عندما تبتعد عن سطح اللوحة ، أو بالتركيب أو باللون وهكذا ، بيد أن كل هذه الأساليب لن يعتمدها الفنان المسلم وإنما اختص في الزخرفات بإظهار بعد آخر هو بعد روحي عرفه كثير من المختصين بأنه عمق وجداني اختصت بها الفنون الإسلامية دون سواها .

ثالثاً. الفراغ من الفراغ :

إن الملاحظ على الفنون الإسلامية هو عدم وجود فراغ فيها ، إذ يعمد الفنان المسلم الى إملاء كل الفراغ أما بالأشكال أو بالزخرفات بكل أنواعها ، ويعتقد المختصون إن سبب ذلك ربما يكون ردة فعل للإنسان العربي المسلم الذي يعيش في بيئة مترامية الأطراف من الصحاري ، والفراغ ومحاولة منه لتغيير هذا الواقع الذي عمد الدين الإسلامي الى تغييره الأمر الذي جعل الفنان المسلم ردة فعله هو تغيير ذلك أيضاً مما جعله يكره الفراغ في العمل الفني ، وقد حل ذلك بأن قام بملء الفراغ تماماً أما بالأشكال أو بالزخارف بشتى أنواعها .

رابعاً. التنوع والوحدة :

إن كل وحدة زخرفية داخل مساحة ما هي كاملة في حد ذاتها وتتأغمها مع الوحدات الفرعية الزخرفية الأخرى داخل العمل الفني الواحد يعطيها مكانة مميزة لها وللعمل الفني عامة ، الأمر الذي يجعل تنوع هذه الوحدات لو أخذت كل منها على حدة نجدها كاملة ،

وعندما تكون داخل إطار العمل الفني الموحد نجدها قد عملت وحدة مع الوحدات الأخرى رغم تنوع كل منها ، وبعد هذا الأمر من أهم مميزات العمل الفني الناجح ، وهو ميزة تمكن الفن الإسلامي من جعلها أحد المعايير التي يستند عليها ، وذلك من خلال جهود الفنان المسلم الذي استطاع أن يجعل من هذه الميزة أحد الأسس والمعايير لعمله الفني .